



الكشف الجديد الباعث على الصدمة، الذي يقول إن عدد القتلى في المعارك في سوريا أكبر بنحو 15 ألفاً من العدد الذي قدر حتى الآن، يعتمد بنفسه على التقدير.

ظاهراً تعرض الأمم المتحدة معطى دقيقاً، ولكن حسب ما يعترف ممثلاً لحقوق الإنسان، فإن الأعداد قد تكون أكبر بكثير، حيث أنه قبل عدة أيام فقط قال المبعوث الخاص للأمم المتحدة، الأخضر الإبراهيمي، أن العدد قد يصل حتى إلى مئة ألف. الأعداد الكبيرة من القتلى كفيلة بان تبعث على الصدمة ظاهراً.

هكذا كان عندما أحصي ألف قتيل في سوريا وهكذا كان عندما ارتفع عددهم إلى عشرة آلاف. غير أنه في حينه أيضاً اكتفوا بتصريحات الشجب، وبيّن اللسان، وبالدعوات الممجوحة للأسد بترك الحكم. من تذكر أعداد القتلى في دارفور، في رواندا، في الجزائر أو في العراق الذي حتى اليوم لا يعرف أن يقول إنما كان عدد القتلى مئة ألف أم ثلاثة آلاف منذ سقوط صدام حسين، سيجد صعوبة في أن يستنتاج بان النشر الجديد سيحدث تحولاً في موقف قادة العالم، الذين يجدون صعوبة في بلورة موقف مشترك حول العمل اللازم في سوريا. إن المعارك في سوريا لن تتوقف أو تحسّم بسبب عدد.

فما بالك عندما لا يكون واضحاً ما هو دور الجنود مقابل المواطنين، ومن أوساط المواطنين ما هو عدد مؤيدي الحكم مقابل معارضيه، أبناء الطائفة العلوية مقابل السنة.

وهل سوريا تعيش منذ الآن حرباً طائفية أم أن الكفاح الوطني هو الذي يسفر الآن عن العدد الأكبر من القتلى. في ظل غياب إجماع دولي على التدخل العسكري الخارجي، وعندما تكون أيضاً قوى المعارضة، السياسية والعسكرية، تعارض التدخل الأجنبي، فإن الحسم في سوريا سيكون متعلقاً بقدرة الثوار على احتلال موقع أساسية، وكم يمكنهم أن يمسكوا بحزام السيطرة الضيقة للأسد.

كم من هذه الواقع يسيطر عليها الثوار منذ الآن، هكذا هو مثلاً الطريق الرئيس بين درعاً ودمشق، المطار في حلب،

والمطار في دمشق الذي لم يحتل، ولكن يهدده الثوار واضطررت الرحالت الجوية إلى التوقف. كما أن كثيرا من معابر الحدود بين سوريا وتركيا وبين سوريا والعراق احتلتها قوات الثوار التي لا تنسق في ما بينها. احتمال آخر للحسم يكمن في اعتراف الأسد بأنه خسر المعركة وأن عليه أن يعد لنفسه مرحلة الانسحاب من الحكم. حتى الآن لم تظهر إشارات علنية على ذلك. ومع أن الأسد أعلن بأنه مستعد في كل لحظة لإجراء مفاوضات مع المعارضة، ولكنه غير مستعد لأن يقبل الشرط الأساس في أن عليه أن ينسحب.

كما أن مواقف روسيا المتعددة، التي تعتقد تارة بأنها غير ملتزمة بالأسد بل بالنظام في الدولة، وتارة أخرى ترفض الشرط الذي بموجبه على الأسد أن ينصرف، تشكل السند لمواصلة وجود النظام.

التوقع الواقعي في هذه اللحظة هو أن عدد القتلى سيرتفع فقط وان المعارك ستستمر في شق قوات الثوار بدون أن تتمكن من الموافقة حتى على تشكيل حكومة مؤقتة.

فوق هذا التوقع يحوم سؤال مقلق ومظلم حول قدرة المواطنين على مواصلة وتکبد الخسائر، ورغم ذلك مواصلة الثورة. في هذه المرحلة يبدو أن موقف الجمهور لم يعد ذا صلة، وذلك لأنه لم يعد الحديث يدور عن مظاهرات في الشوارع ضد النظام، بل نقل الصراع إلى قوات المقاتلين التي هي وحدها تتحمل الآن الاحتقار على استمرار الصراع.

هارتس - القدس العربي

المصادر: